يتسابقون إلى الهوى زُمَراً
ونفائسُ المحصول تختلف
فيها من المخبوء لؤلؤةٌ
عذريَّةٌ، وكثيرها صَدَفُ
الشعر أنتَ، كلاكما لغةٌ
من رائع الإحساس تغترف
تعب الورى في سرِّ «شفرتها»
والبكرُ يحمي عرضَها الشرف
غنَّى لها الغوّاص، جاذبها
حبَل الدَّلال، فكاد يُختطف
ألقى شِباك الصيد، أرهقها
فأتت وملءُ خيوطها أسفُ
الشعر أنت، عليكما ظُلَلُ
كُشِفَ الخبيءُ، وليس تنكشف
بهوٍّ من الفيروز، نقطعهُ
حبباً، ولكن مالَهُ طَرَف
«السندبادُ» يعود راوية
يروي الهوى، ويظلّ يعترف
يصف الرؤى، ويقولها بأسى
«إن الحقيقة فوقَ ما أصفُ»
وتَظلُّ في الأعماق أسئلةٌ
فيها جوابُ الناسِ مختلف
ويظل هذا اللغز يأسِرنا
ولذا لنا في صدركُمْ كَنَفُ
وقف الأُلَى فوقَ الطلول هوىً
واليوم نحن لشوقنا نقفُ

---

* أستاذ مشارك بقسم البلاغة والنقد ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

أحماض

أدبية

القول الممتاز في مثالب التلفاز

حدثنا أبو الفتح عثمان بن جني قال: قلت يوما لأستاذي أبي علي الفارسي: هل سمعت بما جرى للأدباء في دار ابن الجهم؟ قال: والله ما سمعت شيئا.

قلت: سبحان الله يا أبا علي، قد شغلك النحو والتصريف عن استطلاع الأحوال والاستكثار من الأموال! إنهم في دار ابن الجهم يشاهدون «التليفزيون»! قال: ويحك ماذا تقول؟!

قلت: ما سمعت، يشاهدون «التليفزيون» قلها يا أبا علي. قال: والله لا أقولها!

قلت: إنهم يسمونه التلفاز. قال: أما هذه فنعم، تلفاز على وزن تِفعال! ما التلفاز يا أبا الفتح؟ قلت: إنه آلة كالصندوق، ينقل أخبار السوق، ويحكي عن الخيل والنوق، والطبل والبوق! وهذا ما سمعته من ابن فارس. قال: فانطلق بنا إلى ابن فارس.

قال أبو الفتح: فدخلنا على ابن فارس فألفيناه غارقا في التأليف.

فقال له أبو علي: لقد رزقت يا أبا الحسين التصنيف، وأمنت من التصحيف، فقل لنا في التلفاز قولا بليغا.

نص بقلم: د. أحمد عطية السعودي *

قال ابن فارس: التلفاز يا أبا علي، من الفعل الماضي الرباعي «تلفز» يتلفز تلفزة، ويقال له: «التليفزيون»، وعند الطنطاوي علي: الرائي! وفي ضبطه روايات متواترة، وهو ومشتقاته في صندوق محكم!!

قال أبو علي: ومن اخترعه؟ قال: بعض العجم الذين سبقوا الأمم.

قال: هو آية؟ قال: نعم، آية تشهد على قدرة الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

قال: ما لونه؟ قال: هو في صندوق. وله «شاشة» بيضاء فيها صور ملونة تَضُرُّ الناظرين!

قال: ما الشاشة؟ قال: لوح زجاجي مستطيل تعرض بوساطته الصور.

قال: وكيف حصل ابن الجهم على هذا الشيء الغريب، والصندوق العجيب؟

قال: لما قدم ابن الجهم على الخليفة المتوكل أنشده قصيدته التي يمدحه فيها:

أنت كالكلب في حفاظك للود
وكالتيس في قراع الخطوب

فعرف المتوكل قدرته وحسن مقصده وخشونة لفظه، فأمر له بدار على دجلة قرب الجسر فيها من ترف المدينة ومناظر الطبيعة ما يغذي الروح والبدن، وأهداه هذا التلفاز، وجعل الأدباء يتعاهدون مجلسه، ويشاهدون ما لا عهد لهم به!

ثم استدعاه الخليفة بعد مدة فأنشأ يقول:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري!

فقال المتوكل: لقد خشيت عليه أن يذوب رقة ولطافة!

قال أبو علي وقد تغشّاه العجب، وتداخله الطرب: ومن كان عنده من الأدباء؟

قال: والبة بن الحباب، وابن خالويه، والأزهري، والخوارزمي، والجوهري، والزجاج، وأبو سعيد السيرافيّ.

قال: ما أعجب ما رأيتم فيه؟ قال: مناظرة بين ثعلب والمبرد، غلب فيها المبرد وأبدع!

قال أبو علي: إذن هو خير كله. قال: لا يا أبا علي، إن فيه مشاهد منكرة، ومفاسد كثيرة، ومثالب متكررة! قال: فهل إفساده من جهة اختراعه أم من جهة وضّاعه؟

قال: بل من جهة وضّاعه الذين خلطوا فيه عملا سيئا كثيرا وآخر صالحا قليلا!

قال أبو الفتح: قلت يا أبا الحسين، إن ابن الرومي مدح التلفاز لما مرّ به في سوق بغداد، وقال متعجبا:

ما أنس لا أنس تلفازا مررت به
يلقي «البرامج» وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في «شاشة» برقت
وبين رؤيتها مجلوّة الصور
إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في صفحة الماء يُرمى فيه بالحجرِ!

قال: يا بني، إن ابن الرومي رجل محزون مفتون كثير التطير، فما عجب من شيء وكان حسنا!

قال أبو علي: فما كان من أمر الأدباء الذين شاهدوا التلفاز؟

قال: أما والبة بن الحباب فكان يطيل المكث عند التلفاز فساء خلقه، وفسد طبعه، وعمّ فجوره، فاتخذ له في الخلاعة مذهبا، وعلى قمم الرذيلة منصبا!

ورأيت أبا نواس في السوق ذات مرة فقلت له: هيا أبا نواس نتفكر في إصلاح الناس.

فقال: دعني، إني أخشى أن يفوتني «المسلسل اليومي» و«الفيلم الأجنبي» ولعمري ما نصحتني!

قال أبو علي: ما «المسلسل» وما «الفيلم» يا أبا الحسين؟

قال: المسلسل على الغالب حكاية تافهة تجعل في حلقات ليلية! وغالبا ما يكون الفيلم قصة خلاعية تعرض على الملأ، وتحكي عن الغرام وتثير في المراهقين الغرام، أو رواية مرعبة تفسد الأحلام وتعلم الإجرام.

قال أبو علي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا».

قال أبو الحسين: وأما ابن خالويه فشغله التلفاز عن إتمام إعراب القرآن فأعرب ثلاثين سورة فقط. وأما ابن دريد فخص التلفاز «بمقصورته الكبيرة» في مدحه وبيان همزاته ولمزاته! وأما الأزهري فهجره ورعًا منه، واشتغل عنه بتصنيف معجمه المشهور «التهذيب»! وأما الخوارزمي وهو ابن أخت الطبري فقد نسي عشرين ألف بيت كان قد دخل بها على «الصاحب بن عباد» الذي أمر غلامه بألا يدخل عليه أحدا لا يحفظ عشرين ألف بيت! وأما «الجوهري» صاحب «الصحاح» فقد اعترته وسوسة فصعد إلى سطح الجامع في نيسابور، وزعم أنه يطير فألقى نفسه فمات!! وأما الزجاج فقد هجا التلفاز بقوله:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه!

قال أبو الفتح: فخرجنا من عند ابن فارس حانقين آسفين لما رأينا من شغف الناس بالتلفاز وميلهم إلى الكسل والخمول وحرصهم على الغناء والطبول.

قال: فعملت بنصيحة أستاذي أبي علي الفارسي فأفردت بابا واسعا في كتابي «الخصائص» جعلت عنوانه:

«القول الممتاز في مثالب التلفاز»!

---

* كاتب وناقد أردني له مجموعة من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات.